(النفخ في الصور الوارد في القرآن)

(ما قاله المفسرون بما فيهم الأستاذ الإمام فيما هو المراد من النفخ في الصور)

قال تعالى في سورة الأنعام ٧٣ (وله الملك يوم ينفخ في الصورة عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير)

اختلف المفسرون فيما هو المراد من النفخ في الصور فقال أكثرهم هو قرن أو بوق ينفخ فيه إسرافيل يوم القيامة فتذهب كل روح فيه إلى بدنها.

وقيل في صفة الصور والنفخ فيه روايات بعضها منكرة مأخوذة عن الإسرائيليات أو عن كعب الأحبار ووهب بن منبه وبعضها ملفقة بأسانيد لم يصح شيء منها.

وقال بعضهم الصور جمع صورة كبسر وبسره وصوف وصوفه أي يوم تنفخ الأرواح في صورها وأبدانها أي بدون بوق كما تنفخ في الدنيا.

ولكن رده جمهور المفسرين بأن ذلك لا يظهر في مثل قوله تعالى في صورة الزمر ٦٨ (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) وهي النفخة الأولى إذ لا يظهر معنى لأن تكون هذه النفخة في صور المخلوقات لأنها تصعق ولا تحيا وإنما يظهر هذا المعنى في النفخة الأخرى التي يبعث فيا الناس وهي قوله في تتمة هذه الآية (ثم نفخ فيها أخرى فإذا هم قيام ينظرون) وبأنه مخالف لما ورد في بعض الآثار من تفسيره بالقرن والبوق.

وقال الأستاذ الإمام عند قوله تعالى في سورة النبأ ١٨ (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) ما نصه (النفخ في الصور تمثيل لبعث الله للناس يوم القيامة بسرعة لا يمثلها إلا نفخه في بوق فإذا هم قيام ينظرون وعلينا أن نؤمن بما ورد من النفخ في الصور وليس علينا أن نعلم ما هي حقيقة ذلك الصور) انتهى.

ما أفهم في هذه الآية وأمثالها من الآيات الأخرى

(التي ذكر فيها النفخ في الصور)

أقول: إنني أوافق الأستاذ الإمام في أن النفخ في الصور (تمثيل) ولكني أقول كما يحتمل أن يكون تمثيلا لبعث الناس من قبورهم يوم القيامة كذلك يحتمل أن يكون تمثيلا لبعث الناس في الدنيا من قبور الجهل والضلال إلى نور العلم والإيمان كما يشعر بذلك بقية الآية القائلة (م نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنو ربها ووضع الكتاب) فإن هذه الآية تشعر بأن المراد من النفخ في الصور هو بعث الناس بسبب إشراق نور الله بواسطة أنبيائه ورسله وبواسطة وضع الكتاب لهم أي الكتاب السماوي المحتوي على ما يحييهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة ويجمعهم على دين الله وعلى العمل به كما يشعر بذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم).

وبتفسيرنا هذا يكون معنى النفخة الأولى المذكورة في صدر الآية القائلة (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) ظاهرا لا اعتراض عليه كما اعترض جمهور المفسرين على تفسير النفخ في الصور فيها بنفخ الأرواح في صورها وأبدانها كما مر لأنه على تفسيرنا يكون معنى النفخة الأولى هي نفخة الجهل والضلالة والغواية م الشيطان التي صعق بها الإنسان والنفخة الأخرى هي نفخة العلم والإيمان من

الرحمن التي أحيا بها الإنسان. ولا شك أن النفخة الأخيرة التي تكون بواسطة ظهور الأنبياء وهدايتهم للناس لا تكون إلا بعد نفخة الشيطان وإغوائه وإضلاله للناس فإذا حصلت النفخة الأخرى بطهور محمد عليه الصلاة والسلام فإن الناس يأتون إلى ربهم أفواجا أي يدخلون في دين الله أفواجا كما يشعر بذلك قوله تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره) وهذا معنى قوله تعالى في سورة النبأ (إن يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا وفتحت السماء فكانت أبوابا) أي فتحت أبواب سماء العلم والفضل والدين والإيمان فكانت أبوابا متعددة للفيوضات الآلهية والعلوم والمعارف السماوية فهذا اليوم أي يوم الفصل بين الناس بالحق ويوم مجيء الناس أفواجا إلى الله أي إلى الدخول في دنيه ويم فتح السماء وأبوابها هو يوم ظهور محمد صلى الله عليه وسلم وهو يوم النفخ في الصور أي المناداة إلى الله تعالى والدعاء إليه الدخول في دينه.

وهذا معنى قوله تعالى في سورة ق (ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد) أي أن يوم ظهور الإسلام أو أي دين من الأديان هو يوم وعيد الناس على حد قوله تعالى إسراء ١٥ (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) أي أن يرم إرسال الرسل هو يوم جزاء للناس ويوم محاسبة لهم على أعمالهم واعتقاداتهم الباطلة التي كانوا عليها قبل إرسال ذلك الرسول. وهذا لا معنى هو المقصود أيضا من قوله تعالى في سورة يس ٥١ (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا وليلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون إن كانت إلى صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) أي حينما نفخ في الصور بظهور محمد (ص) ونودي به إلى الله فإذا هم من أجداث كفرهم وجهلهم وضلالهم ينسلون إلى ربهم وإلى الإيمان به والدخول في دينه وحينما دعوا إلى ذلك قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ومن سكوننا وراحتنا ذلك البعث الذي ينشأ عن التعب والخصام والويل لمن لا يؤمن ولا يصدق بهذا الداعي النافخ في الصور. فكان الجواب (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) أي هذا ما وعد به الرحمن على لسان رسله الأولين الصادقين وبشر بظهوره في كتبه الأولى وما كانت دعوة هذا الموعود به ونفخه في الصور ونداءه للناس (إلا صيحة واحد فإذا هم جميع لدينا محضرون) أي محضرون لدينا وسامعون لندائنا ودعوتنا وإن كفر بعضهم وبقى على ضلاله فهذا اليوم أي يوم ظهور الإسلام وشمول عدله جميع الأنام (لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون).

ومما يؤيد ما نقوله في معنى النفخ في الصور من أنه يحتمل أن يكون في الدنيا قوله تعالى قبيل هذه الآية (ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون) فإن هذه الأمور أي التخاصم وعدم استطاعة التوصية على الأهل وعدم الرجوع إليهم تفيد أن ذلك في الدنيا وأنه يبقى بعد هذه الصيحة أهل يحتاجون إلى التوصية عليهم وحب الرجوع إليهم. وهذا لا ينافي أن هناك نفخا عاما في الصور يوم القيامة وأن في القرآن آيات تدل عليه مما يفيد أن القرآن قد أشار إلى نفخ خاص في الدنيا وإلى نفخ عام في الآخرة والله أعلم بحقائق الأمور.